الأربعون النووية

المحاضرة الثانية عشر

صدقات منسية | استفت قلبك

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أما بعد،

أهلًا ومرحبًا بكم في لقاء جديد، اللقاء الثاني عشر من لقاءات هذه السلسلة الطيبة المباركة سلسلة شرح كتاب الأربعين النووية للإمام النووي عليه سحائب الرحمة.

ما زلنا نستمتع بأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام ونرجو أن تكون النية هي دائما العمل، وأن نحاسب أنفسنا، فكلما أخذنا حديث سيكون هذا حجة علينا يوم القيامة.

ودائما نسأل أنفسنا **ما التغير الذي حدث لي بعدما قرأت هذا الحديث أو سمعت هذا الحديث ما الجديد في حياتي؟**

لو لا يوجد أي جديد، لا يوجد أي تغيير نكون شغالين خطأ.

فالواجب الإنسان يراجع نفسه. نجعل نيتنا دائما في كل مجلس علم إننا ننتوي العمل، نضيف شيء جديد، أتخلص من عادة سيئة، أتخلق بخلق جديد، أصحح فكرة، أصحح عقيدة، أصحح علاقة مع أحد، لابد أن يكون هناك شيء، وإلا لو لم يظهر علينا أثر العلم فما فائدة العلم!

أم سفيان الثوري رحمة الله عليه كانت ترسله لطلب العلم وتقول إذهب وإطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي، ثم قالت له نصيحة عظيمة: **"قالت يا بني إن أنت كتبت عشر كلمات فلم تجد ذلك في زيادة في خُلقك ودينك وخوفك من الله فإعلم أن هذا العلم حجة عليك."**

لذلك كلما درسنا حديث **تذكر هذه المقولة جيدًا**، فنريد دائمًا النية إن شاء الله أن هذا الحديث سيغير حياتي، هذا الحديث سيفرق معي كثير، أبحث ماذا سأفعل بعدما أنهي الحديث، وما الذي سيتغير في حياتي بعد دراسة هذا الحديث؟

الحديث الخامس والعشرين:-

وهو عَنْ أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال:" أَنَّ أُنَاسَاً مِنْ أَصحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالوا للنَّبي عليه الصلاة والسلام يَارَسُولَ الله: ذَهَبَ أَهلُ الدثورِ بِالأَجورِ، يُصَلّوْنَ كَمَا نُصَلِّيْ، وَيَصُوْمُوْنَ كَمَا نَصُوْمُ، وَيَتَصَدَّقُوْنَ بفُضُوْلِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: (أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُوْنَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيْحَةٍ صَدَقَةً.وَكُلِّ تَكْبِيْرَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَحْمَيْدَةٍ صَدَقَةً وَكُلِّ تَهْلِيْلَةٍ صَدَقَةً وَأَمْرٌ بالِمَعْرُوْفٍ صَدَقَةً وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةً وَفِيْ بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةً قَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ أَيَأْتِيْ أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُوْنُ لَهُ فِيْهَا أَجْرٌ؟ قَالَ:أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فَيْ حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فَي الحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ

وهذا الحديث رواه الإمام مسلم عليه سحائب الرحمة.

هذا الحديث عظيم جدًا وفيه بيان رائع من النبي عليه الصلاة والسلام

● المسألة الأولى:

أن هذا الحديث أصل عظيم في فقه التعامل مع الله سبحانه وتعالى، لأن الناس تعتقد أن العبادة ممكن تكون محصورة في الصلاة والصيام فقط، هذه هي طريقة التقرب إلى الله سبحانه

وتعالى أو أن طرق الخير محدودة فلا يصل إليها إلا أصحاب الأموال ونحو ذلك. لكن هذا الحديث يجعل الإنسان يتسع أفقه لدرجة أن وصل إلى أنواع من الصدقات منها ما هو مخفي مثل التسبيح والتحميد، ومنها ما هو متعلق بالغير مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل وصل لبعض الأمور المتعلقة بالعلاقة بين الرجل وزوجته مثل الجماع، ممكن أيضًا أنك تقدر تجعلها صدقة إذا أصلحت النية.

وكأن هذا الحديث يقول بشمول الدين في كل مناحي الحياة، وأن الإنسان ممكن أي عمل يحوله إلى قربة إلى الله سبحانه وتعالى.

لذلك هذا الحديث هو أصل عظيم في فقه التعامل مع الله سبحانه وتعالى، حتى لو لا أملك مال لكن أستطيع أن أصل إلى الله سبحانه وتعالى وأصل إلى أعلى الدرجات في الجنة، إذا فهمت كيف أتعامل مع ربنا سبحانه وتعالى، كيف أحتسب في كل عمل أفعله، كيف أحول العادات إلى عبادات، كيف أدرك شمولية معنى الصدقة كما سيأتي معنا.

- **المسألة الثانية :**

وهي علو همة الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، واضح جدًا في الحديث علو همة الصحابة الكرام في طلب أبواب الخير وفي طلب الأجور، هم أنفسهم قادمين للنبي عليه الصلاة والسلام يقولون له سبق أهل الدثور بالأجور، الدثور تعني الأموال، **ما مشكلة الصحابي الفقير الآن مع صاحب المال؟** هل هو ينافسه لأنه معه مال فيتمني أن يكون معه مثله حتي يشتري شقة كبيرة أو يشتري قصر، أو ليتزوج عدة زوجات أو حتي لكي يصبح صاحب سيارات فارهة؟

الصحابي **لا يبالي** بذلك، لا يشغله هذا الأمر، ليست هذه مشكلته مع صاحب المال ولم يذكر هذا الموضوع، لأنهم لا تشغلهم الدنيا ولا ينافسون على الدنيا، لكن مشكلته الأساسية قال إن هذه الأموال تتحول إلى عبادات فيستطيع أن يعمل بها عبادات هي متوقفة على الأموال، مثل الصدقات والحج وأحيانا الجهاد، فيقول له **عندهم أموال فكيف ننافسهم نحن الآن!**

فسبحان الله الإنسان عندما يري الصحابة يتأسف على حال كثير منا، وتعلقنا المذموم بالدنيا للدنيا.

هذه الدنيا دار العمل ممكن أن تجعل هذه الدنيا سبب لدخولك الجنة، وممكن الدنيا هي نفسها تكون سبب دخولك النار، فهي مذمومة فيما يتعلق بأنها تصيبك بغفلة أو أنها تضيع دينك. أما ما كان منها يوصل إلى الله فهذا ليس بمذموم أكيد.

فنظرتنا للدنيا أنها وسيلة، أنني أعيش هذه الدنيا حتى توصلني للآخرة وأستعملها وأنتوي فيها نية صالحة، أما إذا كانت نفس الدنيا ستأخدني في مسار ثاني إذًا هذا شيء مذموم. للأسف نحن نتعامل مع الدنيا هكذا، أغلبنا عندما يرى أصحاب أموال يتحسر على فقره، "الذي أعطاك يعطينا يا سيدي!" "وأين ومتى سنرى هذا العز!" ويبدأ حسد على العربيات والصور التي تنتشر على الإنترنت من قصور ومصايف وحفلات، فتجد النفس تُحدِّث الإنسان أنه يتمنى هذه الأشياء، لكن إذا رأيت أحد مثلًا يحج ويعتمر ويعمل صدقات هذا الموضوع لا يشغلك.

هذه القضية تعرفنا حقيقة ما في قلوبنا، الآن هناك ميزان سهل جدًا أعرف به ما في قلبي، إذا رأيت صاحب مال ورجل صالح ما الذي يشغلك في ماله؟ هل العبادات التي يساعده المال عليها أم مجرد المال ومجرد الممتلكات؟ فضلًا عن شيء أسوأ إنك ترى مال مع إنسان غير صالح فتتمنى هذا المال فتقع في معصية كبيرة!

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام بيَّن أن الدنيا لأربعة نفر، فقال: **"مثلُ هذه الأمَّةِ كمثلِ أربعةِ نفرٍ رجلٌ آتاهُ اللهُ مالًا وعلمًا فهو يعملُ بعلمِه في مالِه يُنفقُه في حقِّهِ ورجلٌ آتاه اللهُ علمًا ولم يُؤْتِه مالًا فهو يقولُ لو كان لي مثلَ هذا عملتُ فيه مثلَ الذي يعملُ قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ فهما في الأجرِ سواءٌ ورجلٌ آتاه اللهُ مالًا ولم يُؤْتِه علمًا فهو يخبطُ في مالِه يُنفقُه في غيرِ حقِّهِ ورجلٌ لم يُؤْتِه اللهُ علمًا ولا مالًا فهو يقولُ لو كان لي مثلَ هذا عملتُ فيه مثلَ الذي يعملُ قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ فهما في الوِزْرِ سواءٌ"**

فالصحابة الكرام بنيتهم الصادقة هذه يُرجى لهم عمل الأغنياء، لأن أكيد من يسأل هذا السؤال، في نفسه لو كان معه هذا المال لعمل بنفس العمل.

فأريدك أن تصل للأعمال التي لا تقدر عليها بالنوايا، فالإنسان ممكن أن يصل إلى ما لا يقدر عليه بالنوايا وهذا شرحناه في حديث إنما الأعمال بالنيات.

لكن المسألة هنا هو علو همة الإنسان يعني أن الصحابة الذين يسألون هذا السؤال ليسوا مجتهدين؟ طبعا هؤلاء تجدهم ما شاء الله عبادة وجهاد وطلب علم ويفعلون أمور كثيرة، لكن أيضًا يريد أكثر، وكأن حالهم حال كما قال القائل: **" إذا إستطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فإفعل"**، وكان أحد السلف يقول لو أن رجل سمع عن رجل قد سبقه إلى الله فمات كمدًا لم يكن ذلك بكثير.

هنا الصحابي لا يتكلم أن يكون في منزلة عالية في الجنة، لا يعمل علي أن يكون الأعلي منزلة في الجنة، أنريكون الأفضل، مثلما قال **ربيعة بن كعب الأسلمي** لما قال له النبي عليه الصلاة والسلام: **"سلني يا ربيعة، قال أسألك مرافقتك في الجنة"**، الناس تتمني الأفضل، حتى لو دخلت الجنة لماذا أكون أقل من أخي؟!

ونحن أين همتنا! هذا هو السؤال، **أين أنت في هذه الدنيا؟** أناس تتنافس على الدرجات الأولى في الجنة ونحن بأقصى أحلامنا:" يا رب أدخل الجنة"! فعلًا الجنة جميلة نعم، ولكن أين هذه الرغبة في الدرجات العالية!

● المسألة الثالثة :

هذا الحديث بيَّن لنا أنواع الصدقة:

فأنواع الصدقة منها صدقة عن نفسك، ومنها صدقة عن غيرك بالنفع أو بالمال وكلاهما عمل صالح، الحديث يأصل مفهوم غريب، أن هناك شيء إسمه صدقة عن النفس، **ماذا تعني الصدقة عن النفس؟** دائما مفهوم الصدقة إني أفيد أحد.

نعم هذه هي الصدقة التي سنتكلم عنها أنك تفيد نفسك هذا هو أحد "نفسك" كل تسبيحة صدقة، كل تكبيرة صدقة، كل تحميدة صدقة، لأن الصحابة عندهم فهم محدود للصدقة، يظنون أن الصدقة هي مجرد المال الذي يعود بالنفع على الغير، فالنبي عليه الصلاة والسلام أثار ذهنهم بسؤال قال: **"أو ليس قد جُعل لكم أو جعل الله لكم ما تصدقون به؟"**

سألهم سؤال جعلهم يغيرون الموازين ويعدلون الفكرة والتصور، قال لهم: كل تسبيحة صدقة، أين الصدقة أنا أعطيتها لمن؟ تصدقت عن نفسك بعمل صالح، كل تكبيرة صدقة، تصدقت عن نفسك بعمل صالح عُدت بنفع على نفسك، كل تحميدة صدقة، كل تهليلة صدقة، تصدقت على نفسك بعمل صالح، هذا يفتح لي باب خيرات كبير جدًا وأدرك أن في الحقيقة كل عمل صالح هو صدقة سواء كان نفعه يعود عليَّ وأنا أتصدق على نفسي بهذه الطريقة أو نفعه يعود على غيري فأنا أتصدق عليه.

لذلك تكملة الحديث أنه بيَّن أن النفع على الغير ليس بالضروري يكون نفعًا ماديًا، ليس ضروريًا أن أعطيه مالًا، عندما أنصحه ألم أنفعه؟ وعندما أدله على الخير، ألم أنفعه؟ وعندما أنهاه عن منكر، ألم أنفعه؟ فيقول لنا وأمر بمعروف صدقة، فهذا نفع للغير يمكن أحسن من نفع المال فأنا أنقذ دينه، كل نهي عن منكر صدقة، هذا يمكن أفضل من إنك تعطيني أموال، كما قال بعض السلف: **"أخ لك في الله كلما لقيك ذكَّرك بحظك من الله خير لك من أخ كلما لقيك أعطاك دينارًا من ذهب"**

إذًا النصيحة أغلى من الذهب فعلًا، فهذه صدقة عندما تنصح أخوك، نعم ليس لديك مال تتصدق به لكن معك لسان تنصح، معكِ لسان تكلمي أختك تنصحيها، تدليها على الخير، تأخذيها لدار، تنصحيها في الحجاب، تدليها على أبواب خير وكل هذه صدقات سبحان الله!

ففتح لهم باب الخير جدًا لدرجة أنه أوصلهم في بُضع احدكم صدقة، يعني علاقتك مع زوجتك، حتى العلاقة الخاصة والجماع ممكن بالنية الصالحة تحوله لصدقة لأن هذا نفع يعود على الغير، نعم ليس نفعًا ماديًا لكن فيه إدخال سرور على زوجة، فيه إعفاف زوجة كما سيأتي.

إذًا الحديث في المسألة الثالثة بيَّن لنا أن الصدقة أنواعها كثيرة جدًا وليس الأمر فقط متوقف على صدقة المال مثلما كان الصحابة الكرام معتقدين بهذا المفهوم في البداية.

- **المسألة الرابعة :**

وهي بعُنوان الذكر خير الصدقات.

هذا ليس فقط أن أقول إن الذكر من الصدقات، كما بين النبي عليه الصلاة والسلام، بل النبي عليه الصلاة والسلام في حديث ثاني بيَّن إن الذكر هو أفضل الصدقات،

ففي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وأرضاه قال عليه الصلاة والسلام:" "أَلا أُنَبِّئُكم بِخَيْرِ أعمالِكُم ، وأَزْكاها عِندَ مَلِيكِكُم ، وأَرفعِها في دَرَجاتِكُم ، وخيرٌ لكم من إِنْفاقِ الذَّهَب والوَرِقِ ، وخيرٌ لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم ، فتَضْرِبوا أعناقَهُم ، ويَضْرِبوا أعْناقَكُم ؟ ! ، قالوا : بَلَى ، قال : ذِكْرُ اللهِ".

إنتبه في الحديث يقول خير لكم من إنفاق الذهب والورق، الورق يعني الفضة، إذًا الذكر الذي دلهم النبي عليه الصلاة والسلام عليه أعلى في الأجر من مجرد الصدقات المالية.

أقول هذا حتى نرجع مرة أخرى نسأل أنفسنا كيف أخبارنا في العمل؟ لقد عرفت هذه المعلومة **إذًا ما هو الواجب العملي الخاص بك!** تسبح كم مرة في اليوم، أنتِ تقولين لا إله إلا الله كم مرة في اليوم، أنت تصلي على النبي عليه الصلاة والسلام كم مرة في اليوم!، لا نريد الحديث أن يمر هكذا، أريد أن أرى عمل يا إخوتي عمل، هيا الآن ضع لنفسك أوراد وضع واجب جديد وضع مهمة ونفِّذ فورًا ولا تتأخر،

يقول الله تعالى:**{ ولذكر الله أكبر} [العنكبوت : 45]**، فلا تستهن أبدًا بشأن الذكر أو تقول ماذا سيفعل الذكر؟! لا سيفعل و سينجيك يوم القيامة ويُدخلك الفردوس الأعلى.

ماذا أريد غير أني أسلم يوم القيامة وأكون في الدرجات العلي من الجنة.

فهيا بنا الآن نضع ورد تكبير، ورد تحميد، ورد تسبيح، ورد تهليل، نُحوِّل العلم إلى عمل.

● **المسألة الخامسة :**

وهي شرف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالدلالة على الخير!!، الدال على الخير كفاعله، وإنتبه هي صدقة تبدو صدقة عن غيرك لكن هي أيضًا تشمل صدقة عن نفسك، لأنك نصحته فهو أنتصح ودينه إتحسن بسبب نصيحتي، وأنا أخذت أجر دلالة، أخذت أجر نفس العمل الذي يفعله، وكل خير سيترتب على هذه النصيحة سيكون في ميزان حسناتي، **{فمن دل على هدى كان له مثل أجر من عمل به لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا}** ،**{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ} [ال عمران : 110]** أفضل الناس هم العاملون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المحتسبون.

فالواجب على الإنسان أن لا يكون فقط منشغلًا بصلاح نفسه، بل لا يكمُل شأنك ولا تنجو إلا أن تكون إيجابي وتتفاعل مع ما حولك من المعروف المتروك والمنكر الحاصل، فإن الله تعالى قال **{وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)} [العصر]**

لكن مهم جدًا في أمرنا بالمعروف والنهي عن المنكر نتأكد من بعض النقاط،

1)أول شرط من إنك تأمر بالمعروف أو تنهى عن المنكر العلم، بعض الناس ممكن يتكلم في شيء لا يعلمه، فينصح الناس بشيء وتكون في الآخر بدعة، هو لم يكن يعرف أن هذا ليس من السنة، أو يكلم الناس في حديث ضعيف، لابد من العلم، تعلم أن هذا معروف

بالفعل، أو تعلم أن هذا الشخص ترك هذا المعروف، فممكن يكون شخص ترك معروف لكن لم يخطأ.

مثل واحد لم يصلِ في جماعة و تسأله لماذا لم تصلي.. يتضح إنه مسافر وجمع الصلاة، فهو بالفعل أنهي الصلاة، فتتأكد أولا قبل أن تشدد على أحد في النصيحة، كذلك النهي عن المنكر لابد أن تتأكد أن ما يحصل هو منكر بالفعل، فقد يكون شخص ليس صائم و يأكل في نهار رمضان ممكن يكون مريض، قد يكون مسافر، فالواجب الأول أن يكون عندي علم بأن هذا المعروف فعلًا معروف وأنه قد تُرك بالفعل وأن هذا منكر وأنه قد فُعل بغير عذر كما بيَّنا.

2)الأمر الثاني أنه في النهي عن المنكر خصوصًا أتأكد أن هذا النهي عن المنكر لا يؤدي إلى منكر أعظم منه، شخص مثلًا تعلم منه أنه سباب للدين يسب الدين فشتم شتيمة مثلًا فشتديت عليه وأنت تعلم أنك لو أنكرت عليه سيسب الدين فقد يشرع في هذه الحالة أنك لا تنكر عليه، لأن قد يترتب عليه منكر أعظم.

المهم إن ممكن إنسان يحاول يغير فساد معين فيترتب عليه ما هو أفسد منه، الله سبحانه وتعالى قال في **سورة الأنعام** **{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}** **[الأنعام :108]**

فهذه قاعدة جليلة أن إنكار المنكر يشترط فيه ألا يترتب على إنكار هذا المنكر منكر أعظم من المنكر الذي أنكرته، وهذه قاعدة مهمة جدًا أن الإنسان يحاول أن يقلل المفاسد ويعظم المصالح فيختار المفسدة الأصغر إذا تعارضت مع مفسدة تانية أكبر. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من العبادات الجليلة العظيمة.

● **المسألة السادسة :**

وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله **(وفي بضع أحدكم صدقة).**

إستعمل قاعدة جليلة وهي قاعدة قياس العكس وهذه قاعدة مهمة تستعمل في الفقه عمومًا ولكن الفقهاء إستنبطوها من هذا الحديث.

قاعدة قياس العكس أن يقول لهم في بضع أحدكم صدقة بمعني الجماع فيه للزوجة قالوا : **يا رسولَ اللهِ ! أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكونُ له فيها أجرٌ ؟ ! قال : أرأيتم لو وضعها في حرامٍ أكان عليه فيها وزرٌ ؟** ، قالوا أكيد يكون عليه وزر قال كذلك، إذًا هذا هو قياس العكس فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر

فالإنسان إذا أتى إمرأته فلينتوي عدة نوايا:

ينتوي أن يدخل عليها السرور، ينتوي أن يعف نفسه عن الحرام ويعف زوجته عن الحرام فإن لها شهوة مثل ما له شهوة، وينتوي أن ينتفع من الشهوات الحلال، وأن يقبل شرع الله سبحانه وتعالى **{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف : 32]** فالإنسان مأمور ألا يمنع نفسه من الشهوة المباحة لقول النبي عليه الصلاة والسلام **(إن لنفسك عليك حقا)**

فالإنسان حتى الجماع له فيه أجر، هذه أكيد مسألة تفتح لك آفاق كثيرة جدًا من تصوراتك عن العمل الصالح لدرجة أن الإنسان فعلًا يرى حتى أنه يأتي زوجته فهذا عمل صالح، إذا الإنسان ممكن لو بسط هذه القاعدة على أعماله كلها فأستطيع بالنوايا أن أبدل كل أعمالي لأعمال صالحة.

و كانت هذه المسألة الأخيرة معنا في هذا الحديث وهي أنك تستطيع بفهمك لهذا الحديث أن تبدل كل حياتك لصدقات

هكذا **(في بضع أحدكم الصدقة)** هذه أتت بالنية الصحيحة. هكذا ممكن أيضًا أنتوي نفس الشئ في الكلمة الطيبة التي أقولها لزوجتي وأنتوي نفس الشئ في الحلوى التي أشتريها لأولادي، وأنتوي نفس الشئ في زيارة أصدقائي، أنتوي نفس الشيء في نومي وفي أكلي وفي شرابي أستطيع أن أبدل أي مباح لعمل صالح.

ولذلك مرة أخري أذكر أن هذا الحديث أصل عظيم من أصول التعامل مع الله لأنك تكتشف في النهاية أن حياتك كلها ممكن أن تكون صدقات، فالأعمال التي هي عبادة واضحة هذه أكيد صدقات مثل التسبيح والتهليل والنصيحة إلى أخره . بل الحديث يفتح لك أفق أخري إنك ممكن أن تبدل أعمالك العادية لصدقات حتي إتيان الشهوات المباحة تستطيع أن تبدلها إلى صدقة وإلى عمل صالح.

وبالتالي أفقك يتسع عندما تدرك المعاني العظيمة التي توجد في هذا الحديث وتحتسب كل شيء تفعله سواء مع أولادك أو مع زوجتك أو مع أصدقائك حتى في نومك تحتسب أنك تنام لكي تقوم الليل، لكي تستيقظ الفجر، آكل لكي أتقوى على طاعة الله تتبدل حياتك كلها لصدقات.

فمن الممكن شخص ليس له مال مثل الصحابة الذين سألوا هذا السؤال بفقه التعامل مع الله يتفوق على الأغنياء،

ممكن الغني ماله يشغله قليلًا أي نعم يتصدق وهكذا، لكن ليس لديه الوقت الذي لديك تؤدي به أوراد الأذكار والتسابيح والتهليل، ليس لديه وقت يعمل أعمال كثيرة تحتاج إلى وقت وإلى بدن، فممكن أنك تعوض كل ذلك لأن أبواب الخير كثر وهذا هو الأصل الذي يضعه الحديث

أبواب الخير كثيرة جدًا لماذا تضيق أفقك على هذه الأعمال رغم أنك ممكن تنافس في أبواب أخرى كثيرة ممكن الغني ليس لديه وقت أن يعملها، ففضل الله تعالى واسع أبواب الخير لا تنتهي

هذا ما تيسر في هذا الحديث الطيب المبارك بإذن الله سبحانه وتعالى. ننتقل إلى الى الحديث الذي يلي ذلك.

****

الحديث السادس والعشرون:

وهو عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ سُلامَى مِنَ النّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يَومٍ تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، ويُعِينُ الرَّجُلَ علَى دابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عليها، أوْ يَرْفَعُ عليها مَتاعَهُ صَدَقَةٌ، والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، ويُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ) وهذا الحديث متفق عليه رواه البخاري ومسلم.

- **المسألة الأولى:**

هذا الحديث يختلف عن الحديث السابق وإن كان في نفس الأصل العظيم الذي كان في الحديث السابق وهو بيان فقه التعامل مع الله وبيان سعة أبواب الخير، **إلا أن** المنطلق الذي إنطلق منه الحديث يختلف عن المنطلق في الحديث السابق.

الحديث السابق كان سؤال من الصحابة ظنوا أن أبواب الخير ضاقت عليهم وأن أبواب الخير إنما هي متاحة لأصحاب الأموال فقط، فسألوا فترتب على السؤال إجابة النبي عليه الصلاة والسلام.

لكن هذا الحديث ينطلق من باب آخر، وهو من باب أن الإنسان يحتاج كل هذه الأعمال الصالحة يحتاج أنه يعدد جدًا في هذه الأعمال من باب شكر النعم، لأن هذا الحديث أتى مدخله أن تذكر النعمة، بدأ بكل سلامى من إبن آدم أن عليه صدقة، من بيان نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان ليس مثلما إنطلق الحديث السابق من سؤال من الصحابة على أبواب الخير.

هذا الحديث بدأ بنعمة ممكن لا ندركها أبدًا سلامى، **ماذا تعني سلامى؟** مفصل ترى حركة يدي هذه ناتجة عن عشرات المفاصل لكي أفعل هذه الحركة، لكي يعمل هذا الفك وأتكلم هناك عشرات المفاصل يجب أن تعمل لكي تحدث حركة مثل هذه، أي مفصل من هذه حدث فيه خلل يترتب عليه ألم رهيب ويترتب عليه توقف وظيفة من وظائف الإنسان.

فالحديث يفتح لك أفق قريب يقول كل سلامى و كل مفصل نعمة. إنها أول مرة أنتبه من هذا الموضوع، فأنا أتعامل مع هذه المفاصل على أنها حق مكتسب، لا كل مفصل نعمة.

الإنسان لديه كم مفصل في جسمه؟ ثلاثمائة و ستون مفصلًا، وهذا قد ورد فيه حديث في صحيح مسلم **حديث عائشة رضي الله عنها وأرضاها قال عليه الصلاة والسلام: (إنَّه خُلِقَ كُلُّ إنْسانٍ مِن بَنِي آدَمَ علَى سِتِّينَ وثَلاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ، فمَن كَبَّرَ اللَّهَ، وحَمِدَ اللَّهَ، وهَلَّلَ اللَّهَ، وسَبَّحَ اللَّهَ، واسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وعَزَلَ حَجَرًا عن طَرِيقِ النَّاسِ، أوْ شَوْكَةً، أوْ عَظْمًا عن طَرِيقِ**

النّاسِ، وأَمَرَ بِمَعروفٍ، أوْ نَهَى عن مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلكَ السِّتِّينَ والثَّلاثِ مِائَةِ السُّلامَى فإنّه يَمْشِي يَومَئذٍ وقدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ)

هذا يدل على أن شكر نعمة ثلاثمائة و ستون سلامى **واجب** وهذا الحديث أيضًا دل عليه. وقول النبي عليه الصلاة والسلام كل سلامى من الناس عليه صدقة، أي يجب على الإنسان **أن يتصدق عن كل سلامى!** ما هذا الموضوع! بمعنى أنا أدفع ثلاثمائة و ستون صدقة في اليوم، هكذا لو الصدقة صدقة مال أنا لا أستطيع هذا! فلذلك أوضح عليه الصلاة والسلام في الأمر لكي لا يأتي هذا السؤال في ذهن أحد، ببيان أنواع وأبواب الخير التي من الممكن بالفعل في خلال اليوم تحدث كل هذه الصدقات.

بل في رواية أخرى أن النبي عليه الصلاة والسلام جعل لنا مخرج الحمد لله أن قال: **(ويجزئ عن ذلك كله أن يركع ركعتين من الضحى)** الحمد لله لو أن إنسان صلى ركعتي ضحى فقط يجزئ عن جميع هذه الصدقات، دعنا نكمل وسوف نعود لهذا الموضوع بعد قليل.

● المسألة الثانية :

النعم المعتادة يقل شكرها

ونقول أن الفقيه الذي يريد أن يحسن التعامل مع الله سبحانه وتعالى ينبغي له أن يهتم بالنعم التي يقل شكرها، لأن هذا باب مهجور، الله سبحانه وتعالى يقول: **{وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ} [الملك : 23]** لماذا قليل ما نشكر هذه النعم؟

للأسف لأنها نِعم معتادة كل يوم عندي سمع وعندي بصر وعندي فؤاد ينبض وعندي دم يجري في العروق والمفاصل جميعها تعمل، لا أنتبه أن كل واحدة من هذه نعمة متجددة في كل ثانية.

الإنسان لا يدرك هذه النعمة إلا حين يفقدها أو يرى من فقدها، زُر مستشفى الكسور زُر مستشفى العظام زُر مستشفى الحروق، مستشفى القلب، الصدر، أنظر إلى الذي فقد شيء من هذه الأشياء كم يعاني وكم يتعب، سل المرضى ستعلم أن فعلًا الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يدركه إلا المرضى.

فهذا يفتح لنا باب خطير، باب إني محتاج **واجب عملي** مثلما نأخذ واجبات عملية في كل حديث غير إننا أخذنا واجبات فاتت، التسبيح والتهليل وأوراد الذكر، لا أنا لدي واجب الآن بعد هذا الحديث أريد أن أجلس مع نفسي أكتب نعم ربنا عليَّ خاصةً النعم التي لا أنتبه لها غالبًا لو قلت أكرم نعم ربنا عليك الآن ستكتب الشهادة السيارة المنصب الذي أخذته، ستذكر النعم الفجائية التي لا تتكرر كثيرًا في الحياة.

لكن إذا جلست الآن جلسة إنصاف وكتبت ستكتب مئات النعم، أني أنام وأنام على جانبي بسهولة أني أدخل الحمام وأخرج منه والإخراج يحدث بسهولة، أني أتكلم، أن مفاصلي كلها تعمل أن الهضم عندي سليم، أني أجد قوت يومي، أن أولادي بخير، أني صحيح، أني أعمل، أن لي أصدقاء، ستجد أن هناك مئات النعم آلاف النعم، أستيقظ وأنام عليها وأنا لا أنتبه لها أصلًا، وهذا يربيك على شئ أخر أنك وقتها لن ترى أن الله سبحانه و تعالي حرمك من شئ. للأسف عندما ننسى هذه النعم أبدأ أنظر إلى شخص عنده نعمة محددة كان نفسي فيها سيارة، مصيف، زوجة صالحة وأنا لم أرزق بعد، يتولد إحساس أني لا أملك شئ سبحان الله رغم أني لو أحصيت ما أملك سأجد عندي أشياء ليست عنده، نفس الفكرة.

نكتشف أننا كلنا لدينا نعم كثيرة جدًا، غير نعم التدين، ونعم الإلتزام، ونعمة القرآن، ونعمة الصبر، ونعمة الرضا، ونعمة مجالس العلم، ونعمة تيسير العلم، نعم كثيرة جدًا لكن للأسف الأُغلب بيمنع الشكر.

فالواجب الآن أن نعتاد أن نشكر النعم المعتادة، لأن هذا عند ربنا كبير جدًا وباب مهجور الذي ينجح فيه يكبر جدًا عند ربنا سبحانه وتعالى.

● المسألة الثالثة :

أهمية عبادة الشكر

إننا نكتشف من خلال هذا الحديث معنى كلي هو أن الحقيقة كل شئ أفعله عبارة عن شكر، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أوضح في الحديث أنه من المفترض أن تشكر كل مفصل، بعد هذا عندما بيّن كيف أشكره هو تقريبا ذكر الدين كله في الرواية الثانية التي ذكرتها لكم التي فيها الثلاثمائة و ستون مفصل، ذكر أشياء كتيرة جدًا من الدين غير هذه، ما هذا هل أفعل هذا كله لكي أشكر، هو عبارة عن شكر في النهاية نعم هذا هو الواضح.

لذلك إبليس إختصر مهمته في المنع من الشكر قال **{لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ}** **[الأعراف : 17]** وربنا سبحانه وتعالى إختصر مهمة الإنسان أو نوعي الإنسان فهناك **نوعان فقط** في **سورة الانسان**، قال: **{ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3)}**

وبالتالي كيف لا أهتم بهذه العبادة، أريد أن أقول من قلبي كل يوم صباحًا الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، أن أقول بعد الأكل الحمد لله من قلبي حقًا، في الحديث:" **أن الله يرضى عن العبد يأكل أكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها**"

فكيف لا أدرك قيمة عبادة الشكر وزاهد في أن أقول الحمد لله كثيرًا أو أشكر ربنا ومثلما قلنا واضح من حديث الشكر أنها ليست مجرد كلمات، هذا الحديث يبين أصل أن العمل هو شكر، لأن في الحقيقة عندما قال لك أشكر نعمة كل سلامى هو ذكر أعمال لم يذكر أقوال أو جزء كبير منها أعمال المشي للمسجد، إعانة الناس، إعانة المحتاج، العدل بين الناس، هذه كلها أعمال نعم لأن الشكر يكون باللسان والقلب والعمل **{اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا} [سبأ : 13]**

النبي عليه الصلاة والسلام كانت تتفطر قدماه بالقيام فسئل عن ذلك قال:" **أفلا أكون عبدًا شكورًا**" فهذا يوسع عندك المدارك ويوسع مفهوم عبادة رهيبة عظيمة التي هي أصل الأصول وهي عبادة شكر الله سبحانه وتعالى.

● المسألة الرابعة :

العدل بين الناس

النبي عليه الصلاة والسلام إعتبر حاجة جميلة جدًا وهي أن من الأمور التي تتصدق بها والأمور التي تشكر بها نعمة الثلاثمائة و ستون مفصل فهو العدل بين الناس

ماذا يعني العدل بين الناس؟ يعني أن أحكم بين ناس فأحكم بالعدل الحق ولا يلزم أن أكون قاضي ولا يلزم أن أكون رئيس ولا يلزم أن أكون سلطان، لأ، بل ممكن إنسان يحكم بين

إثنين عمومًا إثنين أصحابك ويوحد حقوق بينهم في معاملة مادية وكل واحد نزل بحجته وأدلته مطلوب أنك تحكم بينهم.

هناك شيئان دائمًا في الخصومات بين الناس، **الحكم والإصلاح،**

1)الحكم يعني أن تقول الحق بالضبط كل واحد له وعليه،

2)الإصلاح عندما تشعر أن الأمور فيها إختلاف تعرض على الناس الصلح تعرض على كل طرف أن يتنازل نوعًا ما، للقلوب وسلامة القلوب فيرضى الطرفين بالصلح، فإذا رضى الطرفين بمبدأ الصلح تبدأ أن تعرض عرض الصلح.

أما إذا الطرفين لم يرضوا بالصلح ويريدون الحكم فالواجب الحكم بالحق والمفترض أن يلتزموا بها الحق مادام أرادوا حكم الله سبحانه وتعالى.

المهم سواء أنك إشتغلت في حكم أو في صلح، من الإحسان ومن العبادات العظيمة التي تعملها العدل، لذلك الإنسان يهتم جدًا بالعدل ويهتم جدًا عندما يفصل بين اتنين أن يعلم أين المشكلة فعلًا،

بعض منا للأسف يتسرع، ممكن أنتي عندك إثنتين صاحباتك و تحبين واحدة أكثر من الأخري، دائمًا تنصفي صاحبتك التي تحبينها، **خطأ**، لابد من العدل حتى في أقرب الناس إلينا، أولادي إبني مثلًا وإبن الجيران أو إبني وصاحبه دائمًا تقول: أنا إبني لا يخطئ ، هذا يقول شتمه، ضربه، لا اكيد يوجد شئ أكيد هو الذي بدأ، لماذا تسرعي في الحكم، العدل مطلوب حتى لو علي نفسي **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ}** **[النساء : 135]**

قضية العدل {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} [النحل : 90] {لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}. [النساء : 114]

● المسألة الخامسة :

تنوع أبواب الخير

لدرجة أن النبي عليه الصلاة والسلام عد شيء ممكن نفعله في اليوم بشكل تلقائي تعين الرجل في دابته فتحمل له عليها، يا سلام! ديننا هذا جميل جدًا، فأنا أحب ديني جدًا لماذا لأني منبهر، عندما أجد رجل كبير يحمل شنطة ثقيلة عليه فرفعت معه ووضعتها على كتفه هذا هو شكر نعمة سلامى؟ **نعم هذا عمل صالح فهل يرفع الدرجات** ؟ نعم، هذا شئ جميل، فلم أكن أتخيل الموضوع بهذا الجمال! لأني أعمل هذا كثير، فقط إحتسب في كل مرة تعمل فيها ذلك ، لو شخص يعبر الشارع أخذت بيده هذه صدقة، في مواصلة فوجدت إمرأة عجوز تصعد و ساعدتها فهل هي صدقة؟! نعم صدقة

و على النقيض ممكن شخص يقول سبحان الله أنا أزهد في هذه الأعمال، لا! بعد ذلك سأنافس عليها ولن أترك أحد يعمل هذه الأعمال، أنا الذي سأسارع.

وأحيانًا بعض الناس يجدون من يبادر فيتأخرون و يزهدون، لأ حاول أنك تبادر.

لماذا لا تأخذ هذه الصدقة! لماذا تزهد في هذا الأجر! فالموضوع لن يأخذ مني ثواني أي فرصة عمل صالح أعملها. ممكن الصدقات التي تجمعها هذه فقط ببساطة و تراها سيطة كلمة هنا، موقف هنا، تساعد أحد، سندت أحد، هذه هي التي ستدخلك الجنة في النهاية

ديننا جميل أبسط الأمور تؤجر عليها، إنت ممكن تحول حياتك كلها بهذه الأصول العظيمة من أحاديث فقه التعامل مع الله سبحانه وتعالى

● المسألة السادسة :

فضل المشي للمساجد؟

في الحديث ذكر الكلمة الطيبة صدقة ثم ذكر بكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث قال:

"مَنْ تَطَهَّرَ في بيْتِهِ ثُمَّ مشى إلى بيتٍ من بيوتِ اللهِ ، ليَقْضِيَ فريضَةً مِنْ فرائِضِ اللهِ ، كانتْ خطواتُهُ إحداهما تحطّ خطيئَةً ، والأخرى ترفَعُ درجَةً"

وعن **جابر بن عبدالله رضي الله عنهما** **قال: "كَانَتْ دِيَارُنَا نَائِيَةً عَنِ المَسْجِدِ، فأَرَدْنَا أَنْ نَبِيعَ بُيُوتَنَا، فَنَقْتَرِبَ مِنَ المَسْجِدِ، فَنَهَانَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: إنَّ لَكُمْ بكُلِّ خَطْوَةٍ دَرَجَةً"**

وفي الحديث قال: **"ألا أدلّكُم على ما يَمحو اللّهُ بهِ الذّنوبَ ويرفعُ الدَّرجاتِ قالوا بلى يا رسولَ اللّهِ قال إسباغُ الوضوءِ على المَكارِه وَكثرةُ الخُطا إلى المسجِدِ وانتظارُ الصَّلاةِ بعدَ**

الصَّلاةِ فذلِكَ الرِّباطَ ثلاثَ مرَّاتٍ" تخيل كل خطوة من أول الوضوء للخروج من بيتك للسلم ثم السير إلى طريق المسجد عشرات و مئات الخطوات كل واحدة منها بحسنة.

إذا المسجد بعيد عنك إحتسب، **لكن** السنة الذهاب للمسجد القريب لا البعيد الإنسان ليس مطالب أن يهلك نفسه في المساجد البعيدة، السنة أنك تصلي في المساجد المحيطة بك أى **لا تتعمد** أن تبعد، لإن لو كل إنسان صلي بعيد عن بيته فُقِدت الحكمة من الصلاة فالمساجد وهى التقارب والتعارف والسؤال عن بعضنا البعض بإجتماعنا للصلاة فى المسجد. لكن إذا لم يوجد أمامك سوى مسجد بعيد لا حرج في ذلك وكما قال النبي عليه الصلاة والسلام لسيدنا جابر **"إنَّ لَكُمْ بكُلِّ خَطْوَةٍ دَرَجَةً"**

وهذا عمل صالح وعظيم، وينبغى على الإنسان أن يعتاد الصلاة في المساجد وإحتساب هذه الخطوات وأيضًا كل خطوة بتعوض سلامى.

● المسألة السابعة :

فضل إماطة الأذى عن الطريق؟.

أنظر قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"وتُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ"** أنك أثناء سيرك في الطريق لو وجد حجر كبير في الطريق ممكن يأذي سيارة أويكسرها، أو يأذي طفل أو جذع شجرة يعيق الطريق لو قمت بإزاحتها على جانب الطريق تكن لك صدقة، أو مثًلا قمامة مسببة مشكلة للمارة أذا أجمعتها أوأعطيت عامل القمامة شيء من المال لتشجعه لإزالتها من طريق الناس فكل هذا صدقات مجرد إماطة الأذى عن الطريق صدقة.

النبي عليه الصلاة والسلام بيقول كما في الحديث: **" بيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ وجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ علَى الطَّرِيقِ فأخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ له فَغَفَرَ له"**، في رواية لهذا الحديث النبي عليه الصلاة والسلام يقول **"لقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ في الجَنَّةِ، في شَجَرَةٍ قَطَعَها مِن ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ"**

أيضًا في الحديث قال صلى الله عليه وسلم: **"الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبةً ،أعلاها قولُ لا إله إلا اللهُ ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ"**، فإماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان والنبي عليه الصلاة والسلام قال:

"عُرِضَتْ عَلَيَّ أعمالُ أمتي، حَسَنُهَا وسَيِّئُهَا فَوَجَدتُ في مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، ووَجَدتُ في مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ في المَسْجِدِ لا تُدْفَنُ"

كل هذا في فضل إماطة الأذى عن الطريق.

- **المسألة الثامنة :**

فضل صلاة الضحى؟

لم تذكر في هذه الرواية ولكن ذُكرت في رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم **"وَيُجْزِئُ مِن ذلكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُما مِنَ الضُّحَى"**.

نحن مقصرين في صلاة الضحى رغم إنهما ركعتان بمقدار ٣٦٠ صدقة وتصلى في دقائق يسيرة جدًا .

متى تصلى صلاة الضحى ؟

صلاة الضحى بعد شروق الشمس بربع ساعة إلى قرب صلاة الظهر بخمس دقائق تصلى فى أى وقت من هذة المدة وتصلي ركعتين أو أربعة أو ستة أو ثمانية.

النبي عليه الصلاة والسلام يقول عن صلاة الضحى: **«لا يُحافظُ على صلاةِ الضُّحى إلَّا أوَّاب»** وقال: **«وهي صلاةُ الأوَّابين».**

"وفي الحديث القدسي عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم عن اللهِ عز وجل أنه قال: ابنَ آدمَ اركعْ لي أربعَ ركَعاتٍ من أولِ النهارِ أكْفِكَ آخِرَه".

والمعنى إنك إذا صليت الضحى أربع ركعات يكفيك الله لأخر النهار.

وفي **حديث أبي هريرة** قال: **" أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بثَلَاثٍ: بصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِن كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ"**

وهذا يبين أن لصلاة الضحى شرف كبير جدًا إن الإنسان حين يصلي صلاة الضحى ويحتسب هذا فهو شكر علي ثلاثمائة و ستون مفصل لإنك تحرك تقريبًا كل المفاصل فى الصلاة كأنك تقول يا رب أنا حركت وأستعملت ثلاثمائة و ستون مفصل في صلاتى للضحى لِأُعلن شكري لك كل يوم علي ثلاثمائة و ستون مفصل

وأعلم أن الشكر عبادة لن تنتهي أبدًا لأن مجرد توفيق الله لك لهذا العمل يحتاج لشكر

وفى قول الله تعالى: **{اعملوا آل داود شكرا }** . **فقال داود : يا رب ، كيف أشكرك ، والشكر نعمة منك ؟ قال : " الآن شكرتني حين علمت أن النعمة مني " .**

****

الحديث السابع والعشرون

عن النواس بن سمعان رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال: (البِرُّ حُسنُ الخُلُقِ ، والإثْمُ ما حاكَ في صدْرِكَ ، وكرِهْتَ أنْ يَطلِعَ عليه الناسُ) .رواه مسلم.

وعن وابصة بن معبد رضى الله عنه ، قال : أتيت رسول الله ﷺ ، فقال : (جِئتَ تسألُ عن البِرِّ والإثمِ؟ قُلتُ: نعم، قال، استَفْتِ قَلْبَك، البِرُّ ما اطمأنّت إليه النّفسُ، واطمأنَّ إليه القَلبُ، والإثمُ ما حاك في القَلْبِ وتردَّد في الصَّدْرِ، وإن أفتاك النّاسُ وأفتَوْك)

وهذا حديث عظيم.

- **المسألة الأولى:**

لحديث جامع، لأن السائل سأل عن البر والإثم والدين كله إما بر وإما إثم

فالبر هو فعل الخيرات عمومًا **والإثم** هو كل ما ضد ذلك.

السائل سأل عن مسألة عظيمة عن البر والإثم، وهذا السؤال عن الدين كله لذا إستحق هذا الحديث أن يكون في الأحاديث الجامعة و إستحق أن يكون في إختيارات الإمام النووي رحمة الله عليه.

- **المسألة الثانية :**

هذا الحديث فيه دليل من أدلة النبوة.

هو أن النبي عليه الصلاة في **رواية وابصة ابن معبد** قال جئت تسأل عن البر و الإثم ويفهم أن النبى أخبره عن سؤاله قبل أن يتكلم به ويسأل النبي فقد فوجئ أن النبى علم ما فى نفسه من سؤال عن البر والإثم، **كيف عرف عليه الصلاة والسلام؟** يبدو أنه علم بالوحي، فإذا كان الأمر كذلك فهذا دليل على نبوة النبي عليه الصلاة والسلام ،كم يطمئن الصحابي حين يجد النبي عليه الصلاة والسلام يفاجئه ويقول له جئت تسأل عن البر والإثم، كم الطمأنينة التى تجعله يستسلم تمامًا للوحي ويستسلم تمامًا لما سيسمع من نصيحة النبي عليه الصلاة والسلام.

● المسألة الثالثة :

هي معنى البر؟

في **الرواية الأولى** عرف البر بأنه حسن الخلق، وفي **الرواية الثانية** عرف البر بأنه ما إطمئنت إليه النفس وإطمئن إليه القلب، وكأنه يعمم البر أكثر، ففي الحديث الثاني تعميم لمعنى البر أكثر من الحديث الأول

وهذا ينقلنا إلى مسألة مهمة، أن البر في القرآن والسنة يأتي على **إطلاقين:**

1)أن البر يقصد به ما يتعلق بالآخرين من المعاملة و الصلة ومن حسن الخلق فهذا معنى يذكر في البر دائمًا في الوحي، مثل بر الوالدين و مثل قول الله عز وجل عن معاملة أهل الكتاب **{ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ } [الممتحنة : 8]** هذا المعنى الأول.

2)المعنى الثاني للبر هو أوسع من ذلك البر هو كل أعمال الخير وكل الطاعات وفيه قوله تعالى: **{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة : 2]**

وكذلك قوله تعالى **{لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: 177]**

في هذه الآية نجد أن البر هو كل أنواع الخير فالحديثين يكملوا بعضهم **فالحديث الأول ذكر المعنى الأخص عن البر والحديث الثاني ذكر المعنى الأعم للبر.**

- **المسألة الرابعة :**

قول النبي عليه الصلاة والسلام: **"والإثْمُ ما حاكَ في صدْرِكَ ، وكرِهْتَ أنْ يَطلِعَ عليه الناسُ"**

متى يكون القلب ميزانًا وحكمًا؟

ينبغي أن نفهم شيء:

الدين فيه أمور واضحة لا يستفتى فيها القلب من الأساس فإنه مر معنا لحديث **"إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن "**

فهناك في الدين أمور محكمات، مثل العقائد محكمة، كثير من الاحكام محكمة، الحلال بيّن والحرام بيّن، فهذه الأمور لا يستفتى فيها القلب أساسًا، لأن الشريعة حسمت فيها القول فلا يأت إنسان يقول مثلًا أنا أشعر أن الربا لا يوجد فيه مشكلة، نقول هذا مردود لأن الشريعة أيقنت فيه أو شخص يقول أشعر أن الزنا مفيد نقول له قلبك فاسد لا يصلح للحكم فضلًا عن إنه مردود بالوحي.

الشاهد: الحديث لا يتكلم عن هذه المسائل التي حسمها الشرع فصارت من المحكمات في الشريعة و لا يمكن الإنسان أن يتجاوزها ولو تجاوزها الإنسان يكون إختار من الدين ما يوافق هواه، إنما المقصود في هذا الحديث الأمور التى يتردد فيها الإنسان، وتكون ملتبسة عليه، لا يعلم هي حلال ولا حرام ولكن يجد في صدره شيء منها لا يستريح، لا يطمئن لها، ممكن أحيانا شخص يتعرض عليه معاملة مالية وليس لديه وقت يستفتي لكن في ريبة في قلبه نحو هذه المعاملة أو شغل ما فيه إختلاط أو فيه درجة من التساهلات بين الزملاء إذا شعرت أنك مرتاب من العمل أومن تعامل أو مرتاب من معاملة مع بنك معين معاملة ربوية معينة، أو وجد في صدرك حاجة أى حاك في صدرك شيء ذلك غالبًا يكون إثم، وغالبًا إذا سألت وإستفتيت في هذه المسألة تتأكد أنها خطأ، وهذه المساحة التى يشتغل فيها القلب وهي أشبه بمساحة المشتبهات النبي عليه الصلاة والسلام قال: **" إنَّ الحلالَ بيِّنٌ وإنَّ الحرامَ بيِّنٌ وبينهما أمورٌ مُشتبِهاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس"**

المشتبهات تشتبه على كثير من الناس، ممكن إنسان يكون محتار في مسألة بعد النظر في الأدلة أحيانا يصل لمرحلة ما في مشتبهات، إن تقريبا استوت عنده المرجحات في الطرفين و يحتاج إلى مرجح ينهي المسألة.

أحيانا يكون القلب فاصل في هذه المسألة بعد كل التقصي وإستفراغ الوسع في الأدلة يجد قلبه يميل إلى إختيار ما، فلعل في هذا الوقت يكون القلب ميزان وحكم، هو لم يخرج عن الشريعة لإن الإختيارين في المسألة موافقين للشريعة و ميزان الشريعة، لكن هو يريد أن يرجح لنفسه، أو أحيانا ربنا يهدي قلبه أن يطمئن لقول من الأقوال يعمل به ويستقر قلبه على ذلك.

وكذلك القلب بيعمل في المساحة اللي ذكرت في **حديث الحسن بن علي بن إبي طالب** **"دعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يُرِيبُكَ"**

ممكن إنسان يكون مقبل على إختيار معين أو قرار معين أو معاملة معينة فيجد في صدره بالفعل قلق أو توتر وإضطراب، فيدع الشيء، وسبحان الله حين يبحث ليتأكد بعد ذلك عن المسألة يكتشف فعلا إنها كانت خطأ وهذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام **"استَفْتِ"**

وهذا فى المسائل التي تم ذكرها وليس في محكمات الشريعة مثل العقائد أو الأمور البينة في الحلال والحرام هذه ليست مساحة يستفتى فيها القلب لإن الشريعة أنهتها وحسمتها فكيف يقال أن القلب يكون له إختيار ثاني أو يكون له حكم على شيء إنتهى وحكم الله سبحانه وتعالى فيه وضح وتبين للناس.

- **المسألة الخامسة :**

أى القلوب يصح أن يكون ميزانا؟

نعطى مثال إذا كان في معاملة ربوية أو معاملة بنكية أو امر فيه إختلاط و وجد صدره منشرح لها فهذا لإنه إنسان فاسد والقلوب الفاسدة خارجة عن هذا الحديث.

لإنه لا يتكلم عن هذا النوع من القلوب إنما يتكلم عن أهل التقوى والصلاح والخير أصحاب البصيرة فهم أصحاب قلوب سليمة نقية عندما يعرض عليهم الإثم يشعروا بحرج وإضطراب لكن القلب الأسود الفاسد لو أتعرض عليه الفساد لم يشعر أنه فساد، ولا يشعر بأي مشكلة وبالتالي القلب الذى يحكم و يصلح أن يكون ميزان في المسائل التي ذكرناها هو القلب التقي النقي، أهل البصائر، وليس أهل العمى، وإلا ممكن واحد فاجر عاصي حين يسأل عن حاجة حرام يقول قلبه مستريح لها أو بنت تقول قلبي مستريح لعدم لبس الحجاب ، أو أخر يقول إنه قلبه مستريح للسهر مع بنات أو سماع موسيقى وإنه يشعر إنه حلال وإنه استفتى قلبه

الشاهد: أن القلب الذي يصلح في الإستفتاء أو في الميزان هو القلب التقي النقي الورع الذى يبحث عن مراد الله في كل مسألة ولا يتبع هواه.

سيأتى في أواخر أحاديث الاربعين **"لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتَّى يكونَ هواهُ تَبَعًا لما جئتُ بهِ ".**

- **المسألة السادسة :**

ما معنى حاك في صدرك؟

أى تجد وحشة في صدرك، لا تشعر بالرضا هنا يأتيك هاجس يلومك إذا وجدت هذه المشاعر في نفسك إحمد الله تعالى فإن قلبك فيه حياء وهذه نعمة عظيمة من الله سبحانه وتعالى إن الإنسان يجد في قلبه الحياء و يشعر بالنفرة و الوحشة، و يجد الضيق حين يقترب من الإثم.

الإنسان الذي تصالح مع الإثم يصل لدرجة لا يشعر معها بأي تأنيب ضمير، وللأسف هذا قلبٌ ميتٌ.

فحاك في صدرك أي ترددت، تجد وحشةً أو ضيقًا. **إياكَ** وأن تقتل هذا الشعور بأن ترتكب نفس المعصية مرة ومرات حتى تقتل هذا الشعور في داخلك وتأتي لتقول: لم أعد أحسُّ بشيئ. أنت قتلت إحساسك بالضيق.

لماذا قاومته، ولماذا قتلته؟ كان نعمةً من الله تدلُّ على أنّ بقلبك حياةً. فالإنسان إذا وجد في قلبه مثل ما كنت تحس فهذه نعمةٌ تحتاج إلى شكر.

● المسألة السابعة :

ما هو معنى الإثم في الحديث؟

نلاحظ أن للحديث **روايتين:**

- الرواية الأولى: **"وَالإِثْمُ مَا حاكَ في نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ."**
- الرواية التانية: **"والإثمُ ما حاك في النّفسِ وتردَّدَ في الصَّدرِ ، وإن أفتاك الناسُ وأفْتَوْك"**

نلاحظ هنا أنَّ الرِّوايتين و**كأنَّهما عكس بعضهما البعض. لماذا؟**

✓ في الرواية الأولى: **"وكرهت أن يطلع عليه الناس"**، يعني إذًا هذا الشيئ المعين مرفوض لدى الناس وإذا رَأوْك سيعيبونه عليك.

✓ بينما تقول الرواية التانية: **"وإن أفتاك الناس"**، أي أنه يوافق مايريد الناس بل ويؤيدونك عليه ولكنك وبالرغم من هذا تجد في صدرك شيئًا.

لذلك نقول أنّ التأثُّم الذي شعرتَ به في **الحديث الأول** كان له **سببين:**

1. شيئٌ حاكَ في صدرك.

2. أنك فعلًا تتوقع اللوم من الناس إذا فعلت هذا الفعل، فإجتمع هنا سببان للإثم.

لكن في **الحديث الثاني** كان **سببًا واحدًا** للإثم:

شعورك بالإثم وأن شيئًا حاكَ أو تردد في صدرك رغم أنّ الناس تعتبره عاديًّا وتشجعك عليه.

وكأن القلب هنا الفيصل الفعلي **إذا كان قلبًا سليمًا ودعك من الناس.**

يمكن أن يكونوا معجبين بهذا الشيئ رغم أنه خطأ، لكن لأنه إنتشر بين الناس وعمَّ صار مقبولًا لدى الجميع. فهذا يقول لك: لا ضير من ورائه، ومالمشكلة إذا فعلته؟ سيبدأ الجميع في إفتائك وتسهيل الأمر عليك، يقول لك الحديث: لا. ما انتشر بين الناس يمكن أن يكون خطأً. ولا يعني فعلهم لشيئ معين أنه صواب، وكذلك إن أفتَوْك بجهل أن تنقاد خلفهم.

بالعكس، طالما وجدت في صدرك شيئ إتبع قلبك وسِر خلف ما حاك في صدرك. ستكتشف فعلًا أنَّك نجوت من فعلٍ خاطئ. لهذا أقول لكم أنَّ التأثُّم في الحديث الأول كان له سبب، التأثُّم في الحديث الثاني كان له سبب آخر.

- **المسألة الثامنة :**

كراهيتك لإطِّلاع النَّاس عليك لا يلزم أن يكون رياءً.

كما في الحديث إنَّ كراهتك لأن يطَّلع النَّاس عليك شيئٌ معتبر ولا يعني أنَّك مرائي ولكن معناه أنَّك تستحي.

وقد ورد في الحديث: **"أوصيكَ أنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ كما تَسْتَحِي رجلًا من صالِحِي قَوْمِكَ"**

الحياء عبادة ولا يأتي إلاّ بخير. هذا يحل إشكالًا عند بعض النَّاس.

مثلًا أحدهم يعصي الله ولكن عنده صحبة صالحة عندما يكون بينهم لا يرتكب هذه المعصية. فيظن في نفسه النفاق أو أنه مرائي، لا أنت حيي.. تستحي من الصالحين وليس في ذلك أي خطأ ولا تُشكِّل تعارضًا، **لا تقل:(أنا الوحيد الذي أفعل هذا ولكني لا أفعل شيئًا وأنا معهم إذًا أنا منافق أو مرائي)**، ماحدث معك هو الحياء من الصالحين وهذه عبادة طيِّبة.

هذا الأمر يُحمد لصاحبه لأنه سبب بقائنا بين الصالحين. المقصود أنَّه إن لم تساعدني نفسي على ترك المنكر أجد الصحبة التي تساعدني وتشجعني وتكون حافزًا لأن أفعل.

ماهي أهمية أو ضرورة الصحبة الصالحة؟ أنها تشجعني عندما أكون معهم لا أرتكب أي منكر بل أتشجع لأقوم بالأعمال الطيِّبة. وكما ذكرنا هذا ليس رياءً ولا نفاقًا ولا تناقضًا، بل حياءً من الصالحين.

وهذا شيئ جميل فلا تقاومه. يقول الحديث كراهية أن يطَّلع النَّاس عليك وهو شيئٌ معتبر.

فلا بأس أن تكون بين الصالحين صالحًا، حتى ولو لم تصل بعد لهذه المرحلة من الصلاح بينك وبين نفسك.

● **المسألة التاسعة :**

هذا الحديث يردُّ على الصوفيِّة أو بعضهم الذي يعتمد منهج: (الدِّين بالذوق والوجد) ويستدل بهذا الحديث أن الله تعالى قال إستفتِ قلبك، أو أن النبيّ عليه الصلاة والسلام قال: إستفتِ قلبك، فيستفتي قلبه في أمورٍ إنتهى فيها الحكم.

يقول حدثني قلبي عن ربي أو يعتمد على المنامات في معرفة الحق من الباطل مثلًا، أو معرفة الواجب والمستحب وماشابه ذلك. فيقول: رأيت في المنام أن إفعل ولا تفعل ويعتبر هذا تشريعًا.

او يقرر من تلقاء نفسه بإحساسه أنه لا صلاة عليه أو أنَّ شرب الخمر لا ضير منه. فيحلل ويحرم لنفسه مايريد تحت دعوى إستفتتِ قلبك.

نقول أنَّ قلبك إذا أوصلك بعد الاستفتاء لشيئ عكس ماقالته الشريعة، فهذا دليلٌ قاطعٌ على فساد القلب وأنَّه غيرُ صالحٍ ولا يصحُّ أن يكون ميزانًا، لأن الشريعة أعلى من القلب فكلُّ ما يُعرَض على القلب.. يُعرَض على الشريعة. إذا وافق الشريعة فهو المُراد، وإن لم يوافقها يُرَد حكم القلب بلا شك لأن الشريعة هي الحاكم الأعلى.. كما قال تعالى: **{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ}** **[الشورى : 21]**

ولكن كما تبيَّنت معنا في الحديث مجالات إستفتاء القلب وشرحناها في مسألة سابقة. سيتأكَّد هذا الأمر في الحديث التالي في الشرح إن شاء الله. قال عليه الصلاة والسلام **"فَعَلَيكُمْ بِسُنَّتِيْ وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ"**

أكملنا ما تيسر في الحديث السابع والعشرين بفضل الله سبحانه وتعالى.

****

الحديث الثامن والعشرون

حديثٌ عظيم **عَن أَبي نَجِيحٍ العربَاضِ بنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ:"وَعَظَنا رَسُولُ اللهِ مَوعِظَةً وَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ وَذَرَفَت مِنهَا العُيون. فَقُلْنَا: يَارَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوصِنَا، قَالَ: "أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عز وجل وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً؛ فَعَلَيكُمْ بِسُنَّتِيْ وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فإنَّ كلّ مُحدثةٍ بدعة، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ"**

وهذا حديثٌ رواه أبو داوود والترمذيّ وقال حديثٌ حسن صحيح.

• المسألة الأولى:

أنَّه حديثٌ جامع لأن فيه موعظة بليغة فيها نجاة الأمة ونجاحها.

وضع هذا الحديث **أربع قواعد** فيها سلامة الأمة بمنهجها وعلاقتها مع الله سبحانه و تعالى كذلك مع المجتمعات الأخرى.

1) قال "أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ" وهذا فيه صلاح العبادة بين العبد وبين الله وفيه سعادة الاخرة.

2) وصيَّة بالسمع والطاعة لوليِّ الأمر ولو تأمَّر عليكم عبد. وهذا فيه سعادة الدُّنيا وقوَّتها وسلامتها للمسلمين، وفيه التَّمسُّك بالمنهج عند حصول الإختلاف.

3) "فَعَلَيكُمْ بِسُنَّتِيْ وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ" وفيه التحذير من أكبر شرٍّ يمكن أن يدمر الأُمَّة وهو شرُّ البدع. هذاحديثٌ رائعٌ عظيم.

● **المسألة الثانية :**

وهي حاجة الإنسان المستمرَّة إلى الموعظة.

فلنتعرف أوَّلًا إلى ماهيَّة الموعظة؟

الموعظة هي النصيحة التي تحتوي عادةً على ترغيب وترهيب ينتج عنهما تأثُّر لدرجة تتحرك وتخشع فيها القلوب وتتفاعل معها، وقد تبكي العيون كما يقول العرباض بن سارية أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام قال: **"وعظنا"**. يختلف الوعظ عن الخطبة العاديَّة كما أسلفنا. فهو يقول **"وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ مَوعِظَةً وَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ"** أي خاف جدًا من الله تعالى، **"وَذَرَفَت مِنهَا العُيون"** هل إنتبهنا لمن كان الوعظ موجَّهًا في هذا الحديث؟ الصحابة.. وهُم من هُم وفيهم من فيهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وكل الأكابر موجودون.

وهل يوعظ مثلهم؟ ألم يعرفوا بالصلاح إبتداءً؟ ليس بالضرورة، من قال هذا؟ كلُّ الناسِ تحتاج إلى الموعظة حتى السابق في إلتزامه بل القويّ جدًا فيه ما يزال يحتاج إلى موعظة.

وهذا للأسف نحن وطلبة العلم مقصِّرون فيه. للأسف البعض منَّا يبدأ إلتزامه بالمواعظ والوعظ والخطب التي تأسر القلب وتحركه وتبكيه بعد ذلك يباشر طلب العلم حتى يصير اللهم بارك حافظًا للقرآن وصاحب علم وحافظ للسنن ومداوم على حضور الدورات الكثيرة. يبدأ بعد ذلك يركز في العلم فقط وإذا سألته بعدها أين الخطب والمواعظ يقول:(لا كان ذلك في بداية الطريق، المواعظ للمبتدئين) أما هو فقد أصبح صاحب علم وإجازات وأسانيد ومتون وماشابه في هذا الباب. هذا خطأٌ كبيرٌ جدًا.

الإنسان دائما يحتاج إلى موعظة حتى إذا بلغ مبلغًا من العلم والعبادة، ما يزال يحتاج لموعظة وإلا فسيصدأ القلب بدونها.

لذلك أقول أنا متأكد أن من يسمعني الآن.. وهذا **من الواجبات العملية** التي سنخرج بها كما نفعل بعد كل حديث.. نخرج بواجبٍ غاية في الأهمية.. أنك تحتاج إلى سماع مواعظ، من يسمعني الآن طلبة علم حضروا دورات وأنهوا كتب، لكن راجع نفسك ستكتشف أنك مقصِّرٌ في قيام الليل، لا تقرأ أورادك، بدأت تنسى القرآن، متى كانت آخر مرة بكيتي/بكيت، أو آخر مرة خشعت في الصلاة؟ ستُفهمك هذه الأسئلة أنَّ السبب هو زهدك في سماع المواعظ.

ينبغي عليك أن تحافظ على سماعها على فترات حتى يتحرك قلبك وتبكي عيناك.

إنَّ القلب ينصلح بالموعظة ويُغسل بالدموع، فإحرص على ذلك فمهما زاد علمك أنت تحتاجها دائمًا كذلك التزكية. قال تعالى: **{وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}** **[الجمعة : 2]**

فلا تقتصر على العلم دون التزكية.

- **المسألة الثالثة :**

وهي القواعد التي قعَّدها النبيّ عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث.

جابر يقول عنها **"كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوصِنَا"** سبحان الله.. فطلبوا منه الوصيَّة.

فقال: **"أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ"** أوَّل وصيَّة أوصى بها النبيّ عليه الصلاة والسلام كانت تقوى الله سبحانه وتعالى. والتقوى درسناها وذكرت معنا في أحاديث سابقة فلن نعيد ماتعلَّمنا.

لكنَّ التقوى، كما يقولون، هي أن تجعل بينك وبين الله، أو بينك وبين عذاب الله وقاية.

وقالوا إنها العمل بالتنزيل والإستعداد ليوم الرحيل. كذلك قيل عن التقوى أنَّها العمل بطاعة الله على نور من الله.. ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله.. تخاف عقاب الله، **وكما قال الشاعر:**

خلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى.

كن كماشٍ فوق أرض الشَّوك يحذر ما يرى.

لا تحقِرنَّ صغيرةً إن الجبال من الحصى.

الإنسان الذي يريد أن يتَّقي يكون كمن يمشي على الشوك بحذر شديد، يرفع رجل ويضع الأخرى برفق حتى لا يُشاك. يتَّقي هذه ويتَّقي تلك. هكذا هي حياتنا انتبه هذه صغيرة، هذه كبيرة، إبتعد عن هذه فهي خطأ، حرام، مكروه، واجب، مستحب، ولماذا المشي بحذر في الحياة؟ إتقاءً لغضب الله سبحانه وتعالى.

فإذا حقَّقَ الإنسان التقوى:

1) يسر له الله تعالى أمره: **{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} [الطلاق : 2]**

2) رُزق من حيث لا يحتسب **{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا*وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِب} [الطلاق: 3]**

3) صار من الأولياء **{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس : 62]**

4) نجا يوم القيامة وحقّق سعادة الدنيا والآخرة.

- **المسألة الرابعة :**

ثم قال عليه الصلاة والسلام: **"وَالسَّمعِ وَالطّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ"**

هنا يُقَعِّد النبيّ عليه الصلاة والسلام مسألة السَّمع والطاعة لولاة الأمور الشرعيِّين.

وليُّ الأمر الشرعيّ هو من يحكم المسلمين بكتاب الله تعالى. لأنه ورد في **رواية أخرى** قال: **"وَلَوِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ"** فجعل ضابط وصف الحاكم أنَّ له أمرًا شرعيًّا أن يقود الناس بكتاب الله تعالى.

إذا قاد الناس بكتاب الله تعالى؛ صارت له صفة وليّ الامر الشرعيّ والواجب على المسلمين أن يطيعوه ما لم يأمر بمعصية.

فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، المقصود طاعته فيما يتعلق بالرعيَّة وأحوال الناس. الوليّ لن يأمرك إلبس كذا أو كُل كذا. لا تلزمك طاعته في هذه، وإنما تلزمك فيما يتعلق بأحوال المسلمين ومصالحهم.

وإن كان فيه ظلم في نفسه، أي لو كان هذا الحاكم ظالمًا لنفسه نصبر على هذا الظلم، لأن الصبر على الحاكم مع ظلمه لنفسه في مقابل الحفاظ على وحدة المسلمين هذه مصلحة كبرى وهي الحفاظ على قوَّة المسلمين وتماسكهم.

والنبيّ عليه الصلاة والسلام لم يأذن أن تُسقِط عصا الطاعة **إلا في حالة واحدة** قال: **"إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فيه بُرْهانٌ."** في هذه الحالة سقطت عصى الطاعة تمامًا

ويكون أمر عزله أو الخروج عليه وقتها مسألة ترجع إلى المصالح والمفاسد أما ماعدا ذلك فإذا كان الحاكم يحكم بكتاب الله وإذا كانت مسألة ظلمه مقتصرة على نفسه فالحفاظ على وحدة المسلمين وقوَّتهم هما المقدمان. نؤدِّي الذي علينا ونسأل الله الذي لنا حتى وإن كان فيه مظالم فإنه يُدعى لهم بالخير ونحاول أن نُوحِّد صفَّ المسلمين وفي هذا تماسكهم.

قد لا نحس بهذه المعاني لأن **الخلافة العثمانية** سقطت لذلك لانستشعر المعنى بالقوَّة المطلوبة.

كانت للمسلمين قوَّة لمَّا كان عليهم أولياء أمور شرعيين يحكمون بكتاب الله وكان للمسلمين وقتها شأنٌ وهيبة.

حتى لما كان لبعض الولاة مظالم وشهوات، وحدث هذا بالفعل، كان هنالك ولاة حالهم سيئ جدًا من شرب الخمور أو إرتكاب الفواحش أو تظلمات أو فرض ضرائب.. لكن في المقابل كانت قوَّة المسلمين يضرب بها المثل. وكانت وحدة المسلمين رادعًا وحمايةً عاليةً للمسلمين، ولمّا غاب هذا المعنى رأينا تمزقهم وتفرقهم وضعفهم في كل مكان والله المستعان.

● المسألة الخامسة :

ذكر أنَّه **"مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً."** وهذا من دلائل النبوَّة.

تقول ماذا نفعل اذا وقع الخلاف؟

النبيّ عليه الصلاة والسلام أخبر بغيب، وهذا دليل على النبوَّة أنَّه من يعِش منكم بعدي فسيرى إختلافًا كثيرًا وقد وقع، لأن النبيّ عليه الصلاة والسلام مات والإختلاف لم يقع بعد. وإنما حدث بعد ذلك بعد ظهور الخوارج والقدرية وبدأت فِرَق المسلمين تخرج تباعًا، فبدأ

الإبتداع كما قال النبيّ عليه الصلاة والسلام: **"إفترقتِ اليهودُ على إحدَى وسبعينَ فرقةً ، وافترقتِ النصارَى على اثنتَينِ وسبعينَ فرقةً ، وستفترقُ هذه الأمةَ على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً كلّها في النارِ إلا واحدةً، قيل: من هي يا رسولَ اللهِ؟ فقال صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ : مَن كان على مِثلِ ما أنا عليه وأصحابِي"**

النبيّ عليه الصلاة والسلام يقول سيقع إختلاف وستنتج عنه البدع شيعة، دروز، علوية، خوارج، قدرية، جهمية، معتزلة كل هذه إختلافات.

ماذا نفعل مع هذا الخلاف الكبير؟ هل نحاول أن نُوجد منطقة وسط؟ خطأ.. لا توجد منطقة وسط بين السنة والبدعة.. لا توجد منطقة وسط بين أهل الحقّ وأهل الباطل **{فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ} [يونس : 32]** وبالتالي فالأصوب في الأمر أن يتمسَّك أهل السُّنة بما هم عليه، ويدعو أهل البدع أن يعودوا إلى السُّنة وهذا طريق توحيد الأمَّة وليس أن نخدع بعضنا بعضًا ونظل نحاول تصفية الأمور مع أهل البدع ونرضى بالواقع أو نُوجد منطقةً وسطًا أو أن نحاول نتقارب كما يقول البعض:(التقارب بين السُّنة والشيعة).

لا يوجد تقارب بين السُّنة والشيعة ولا يوجد تقارب بين السُّنة والبدعة بالأساس!

وانَّما **الحل الأول** كما يقول لنا الحديث أهل السُّنة يتمسَّكوا بها. **"فَعَلَيكُمْ بِسُنَّتِيْ"** ما لا تذهب للبدعة، ولا تتصالح معها، ولا تُوجد منطقة وسط.

"وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ" والنواجذ هي الأضراس الأخيرة وهذا كناية عن شدة التمسُّك.

وقال: **"وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ"** أي لا تذهب للبدعة هكذا أتعلم كيفية التعامل مع الخلاف.

المرحلة التي تلي التمسُّك بما عليه النبيّ عليه الصلاة والسلام هي مرحلة دعوة أهل البدع ومجاهدتهم ونصحهم ليعودوا الى السُّنة. هذا هو الطريق الذي تنصلح به الأمَّة وإلاَّ فالتسامح بين أهل البدع وأهل السُّنة سيخرج لنا ببدعة في النهاية والنتيجة ستكون أن من أهل السُّنة من سيذهب لأهل البدعة.

ولكن الصحيح أن نتمسك بالسُّنة وندعو أهل البدع للعودة السُّنة.

هذا هو الطريق الوحيد لتوحيد الأمَّة، أن تعود إلى كتاب الله وسُنَّة النبيّ عليه الصلاة والسلام. فمن كان على هذا الهدي فليستمسك به وليدعو غيره ولا يقبل التصالح مع البدع أبدًا.

- **المسألة السادسة :**

قال عليه الصلاة والسلام: **"وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ"** هذا فيه تزكية من النبيّ عليه الصلاة والسلام للخلفاء من بعده أبوبكر وعمر وعثمان وعليّ وهذا دلَّ على أنهم كانوا على الخير وماتوا على الخير وأن هديهم هو هديَّ النبيّ عليه الصلاة والسلام.

ننتبه أن سُنَّة الخلفاء الراشدين ليست سُنَّة مستقلَّة، بل هي تزكية من النبيّ عليه الصلاة والسلام أن الخلفاء الراشدين هم على هدي النبيّ عليه الصلاة والسلام وأن سُنَّتهم هي سُنَّة النبيّ عليه الصلاة والسلام وأنَّهم موَّفقون في إختياراتهم وأن إختياراتهم لا تخرج عن سُنَّة النبي عليه الصلاة والسلام.

فهذا فيه تزكية لاختيارات الخلفاء الراشدين، فكل ما فعله الخلفاء هو من سُنَّة النبيّ عليه الصلاة والسلام.

جمع أبوبكر المصحف هذا شيئ صحيح، الأذان الأوَّل الذي بدأه سيدنا عثمان هذا فيه إقرار من النبيّ عليه الصلاة والسلام لأنَّه زكَّى سُنَّة الخلفاء الراشدين. كذلك قتال المرتدِّين، كلَّ ما فعله الخلفاء هو من هديّ النبيّ عليه الصلاة والسلام وإقرارٌ منه بأن الخلفاء الراشدين المهديين متَّبعون.

وفيه ردٌّ على الشيعة الذين يطعنون في أبي بكرٍ وعمر وعثمان رضي الله عنهم وأرضاهم.

● المسألة السابعة :

النبيّ عليه الصلاة والسلام حذَّر من البدعَ فقال: **"وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فإنَّ كلّ مُحدثةٍ بدعة"** وهذه الصيغة عموم، كل محدثة بدعة فلا يوجد بدعة حسنة إنَّما كلُّ البدع ضلالات **"وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ"** هنالك خطر البدعة نفسها وخطر اتِّباعها، وخطر الابتداع في الدين.

إن في أمر البدعة تفصيل كتير جدًا أُحيل الحديث في هذا الموضع إلى الحديث الذي شرحناه وهو قول النبيّ عليه الصلاة والسلام في الأربعين النووِّية قال: **"مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ"**.

كانت محاضرة كاملة تكلَّمنا فيها عن البدعة وأنواعها وتعريفها والردِّ على مسألة البدعة الحسنة والتعامل وكيف يكون التعامل مع البدع.

أُحيلكم إلى هذه المحاضرة حتى لا يكون هنالك تكرار.

ولكن واضحٌ أنَّ النبيّ عليه الصلاة والسلام قَعَّد القاعدة الأخيرة

"وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فإنَّ كلّ مُحدثةٍ بدعة، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ" وبذلك إنتهى الحديث الثامن والعشرون معنا بفضل الله سبحانه وتعالى.

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

****

جزاكم الله خيرًا

سبحانكَ اللهمَّ ربنا وبحمدك، أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ، أستغفرك وأتوبُ إليك.